

## العدول التركيبي الاسمي، في قصائد «ابن خفاجة الأندلسي» بين النحو والبلاغة

مريم أقرين\*

### الملخص

ترصد هذه الورقة ظاهرة بلاغية تجذرت في صفحات الدراسات العربية الأصيلية وهي تقنية "العدول" التي ما لبثت أن اكتست حلةً حدائية في الأبحاث الغربية مسّت الشكل دون المضمون فصارت تدعى "écart"، ليعود هذا المصطلح من جديد إلى عالمنا العربي بعد ترجمته لترجمات عدة أشهرها "الانزياح"، إلا أن لبّ هذه التقنية يتمخض في الخروج عن المؤلف إلى اللامؤلف، أي من "الثابت" إلى "المتغير" وفق قصد ضمني باطني معين يتجاوز القصد الظاهري، وفي سياق ذلك راح الشاعر الأندلسي "ابن خفاجة الأندلسي" (٥٣٣هـ) يرسم لوحات مزوجة بألوان الطبيعة ومصقولة بأساليب عدولية تركيبية لتصهر لنا مقاصد معينة متجسدة وفق مفاصل محددة تكمن في: أولاً: العدول الإطار المفاهيمي، وثانياً: العدول في الدراسات العربية والغربية، ثم ثالثاً: العدول التركيبي الاسمي في قصائد "ابن خفاجة الأندلسي" الذي يتم فيه استجلاء جوانبه النحوية مكتملة بمتعته وفائدته البلاغية المقصدية.

وقد توصلت الدراسة إلى أن قصائد الشاعر تعكس مقدرة شعرية فائقة في رصف المباني، والمعاني، واقتناص الألفاظ المعبرة في تراكيب عدولية اسمية تتجسد وفق مظاهر متنوعة نحو: كسر رتابة أسلوب الاستثناء من خلال تقديم المستثنى وأداته، وتقديم الخبر والحال، إضافة لحذف أداة النداء، والخبر، والمبتدأ لينتج عن ذلك مقاصد بلاغية ضمنية متلوّنة حسب السياق. ولقد نتجت أغلب مظاهر العدول التركيبي الاسمي على تنوع صورته - وتولّدت أكثر أغراض الشاعر من حديثه عن مرحلته الحياتية المشربة بالأحزان لفقد صديق أو بالمعاناة لترك حبيب أو بتصويره لشجاعة فارس أو نبل حاكم، كونها تُخبر عن حالة نفسية ذاتية انعكست على شعره.

كلمات مفتاحية: العدول، الحذف، التقديم والتأخير، القصد.

\*- أستاذة مساعدة في قسم الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر.

البريد الإلكتروني: meriem.agrine@gmail.com

تاريخ الوصول: ١٣٩٣/٠١/٢٨هـ.ش = ٢٠١٤/٠٤/١٧م تاريخ القبول: ١٣٩٤/٠٣/٢١هـ.ش = ٢٠١٥/٠٦/١١م

## المقدمة

عُرف الإنسان العربي منذ طلوعه باهتمامه بالفنون الأدبية النثرية منها والشعرية، وخاصة استحواذه على فن "الشعر" بوصفه جزءاً من بنية وعيه ورافداً رئيسياً من روافد تفكيره، وبعثاً لافتاً للنظر من بواعث حضوره الوجداني. فهو لغة لا يُعبّر عن فكر مجرد فحسب، بل يُعبّر أيضاً عن مكنون ذاته وانتمائه العاطفي، ويُثبت وجوده ويعكس تجربته في العالم الخارجي من خلال حسٍ مرهف وطاقة متفجرة، في إقامة بناء لغويّ وفنيّ متميّز بوقفاته الفريدة التي لا تبرز إلا بتقنية خاصة، والمستبينة -هنا- في تقنية "العدول"؛ كونه يُعدُّ ظاهرة من بين الظواهر البلاغية التداولية المستجلاة بامتياز في الكتب التراثية نثرها وشعرها، وتكثر في المدونات الشعرية خاصة. فما الشاعر شاعراً سوى لاحتواء شعره على جميع ألوان وأشكال العدول والانزياح، حتى يجذب القارئ ويستفزه ويُناغي أفكاره ويُداعبها. ولكي يسمّى شعره شعراً -لا نظماً- لا يكفي الالتزام بالوزن والقافية في قالب واحد، بل عليه تضمين هذا السبك والقالب "عثرات"، مادّتها الكُحل المثير ومضمونها معاني الحروف والكلمات والحمل، لتُسقط القارئ في فوهة غير متوقعة تعترض طريق قراءته فلا يمر منها وينجو حتى يجد مخرجاً ومقصداً من وضع هذه العثرة والعتبة أمام فكره وذهنه. ومن هذه العثرات العدولية التي تخرج عن الطريق الأصلي المستقيم إلى طريق مائل معوّج؛ العدول بالتقديم والتأخير المتجسّد في (الترتيب)، والعدول بالحذف المتمثل في (النقصان). والتي سيُعمد عليها للكشف عن جماليات وغايات ومقاصد التراكيب الاسمية لأحد شعراء الأندلس ألا وهو "ابن خفاجة الأندلسي" الذي يعدّ من المبدعين المقلّين والمجيدين الذين عاشوا ضمن حقبة من حقب عصور الازدهار العربي، وعلاوة على ذلك اشتهر بمدوّنته التي تألقت أحرفها بألوان الطبيعة فمزج بين نفس الطبيعة وجوهرها بصورة الأخاذة، وبين كلماته المنسوجة بروحه النقيّة لينصهرها في قالب لم تعتده أذن القارئ ولم يألّفه ذهنه.

وما العدول سوى تقنية مهمة وضرورية تُعين المتكلّم لاسيما المبدع على إبراز طاقته الشعرية، وقدرته الفنيّة، وميوعة خياله لإثراء مدوّنته تارة، وجذب ذيول فكر القارئ تارة ثانية، وبثّ مقصده الخفي تارة ثالثة. فتوظيف العدول في الشعر -خاصة- لم ينفرد به شاعر بعينه، بل كان هوس كلّ الشعراء في من يكثر منه بأشكاله وصوره حتى يصل إلى اللغة المشفّرة بأنّ معنى الكلمة.

تهدف هذه الدراسة إلى، دراسة العدول التركيبي المتجسّد في مظهري الحذف والترتيب مع إجماع مقاصدهما الضمنية في شعر "ابن خفاجة الأندلسي" هذا من جهة. ومن جهة أخرى الرغبة في الربط بين ما هو متداول في الدراسات التراثية اللغوية عند العرب -أي مصطلح العدول- بالتفكير

المعاصر. وتسمى الدراسة - كذلك - للإجابة عن بعض الأسئلة، أهمها: كيف تعامل علماء العربية القدماء، والباحثون المحدثون؛ العرب منهم والغربيون مع مبحث العدول في دراساتهم؛ من حيث المصطلح والمفهوم؟ وكيف تظهرت ظاهرة العدول التركيبي داخل النص الشعري الخفاجي الأندلسي؟ وإلى أي مدى كان لإدراج صور العدول، الأثر في توليد المعنى الضمني واستنطاق القصد المراد من هذا النص الشعري؟

وسنحاول الإجابة على هذه الأسئلة من خلال ثلاثة محاور، حيث سيختص المحور الأول بالجانب التعريفي لمصطلح "العدول" من حيث اللغة والاصطلاح باعتباره البوابة الأساس المؤدية لصلب الموضوع، ويتناول المحور الثاني الزاوية التاريخية لمصطلح "العدول" عند العرب القدماء والمحدثين والمعاصرين، إضافة للدارسين الغربيين كونهم اللبنة الأولى في ظهور هذا المصطلح. ويتناول المحور الثالث عنصرين مهمين، هما: العدول بالتقديم والتأخير (الترتيب)، والعدول بالحذف (النقصان) مازجين هنا بين العملية التنظيرية والتطبيقية في قصائد "ابن خفاجة الأندلسي" لأهمها الأكثر انتشاراً في شعره، ثم نخلص في النهاية إلى أهم النتائج. ويمكن تحديد المنهج المناسب وطبيعة موضوع البحث في المنهج "الوصفي التحليلي"؛ من أجل رصد ووصف مظاهر العدول في التراكيب الاسمية المتوفرة في المدونة، والتعليق عليها نحوياً وبلاغياً لنصل إلى المقصد من هذا التغيير.

ومن الدراسات السابقة الحديثة حول ظاهرة "العدول" نجد: "العدول الصرفي في القرآن الكريم دراسة دلالية" لهلال علي محمود الجحيشي، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٥ (أطروحة دكتوراه)، العدول في البنية التركيبية قراءة في التراث البلاغي لإبراهيم بن منصور التركي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، الجزء ١٩، العدد ٤٠، ١٤٢٨هـ، الانحراف الأسلوبي (العدول) في شعر أبي مسلم البهلاني (١٨٦٠ - ١٩٢٠م)، لأحمد محمد علي، مجلة جامعة دمشق، المجلد ١٩، العدد (٣ - ٤)، ٢٠٠٣م.

والملاحظ من عناوين هذه الدراسات وموضوعاتها أنها لم تدرس العدول التركيبي بمظهره الحذف والترتيب معاً، مع تبيين مقصدهما المختلف باختلاف صور المظهرين، بل جاءت متخصصة في مظهر واحد؛ إما نحوي، أو صرفي أو بلاغي، هذا من جهة. ومن جهة أخرى ما زاد الموضوع إصراراً للبحث هو المدونة الشعرية الأندلسية للشاعر "ابن خفاجة" التي

لم يُتطرّق لها بالدراسة إلّا من ناحية عنصر الطبيعة وذلك بتحديد الأطر الفنيّة الجمالية الأسلوبية، فصارت بسبب ذلك موضوعاً للبحث.

### ١. العُدول: الإطار المفاهيمي

يجدر بنا بدايةً تحديد المعنى اللّغوي للكلمة في المعاجم اللّغوية لاسيما الأمّهات منها، وكذا في مجال أصحاب التّخصّص أو ما يسمّى بالمعنى الاصطلاحي.

#### أ. المعنى اللّغويّ

إذا تتبّعنا المعاجم اللّغوية العربية التراثية، نجد أن المادة اللّغوية (عدل) عرفت معاني كثيرة، منها "الميل" و"الاعوجاج" وهذا ما أورده "الخليل بن أحمد الفراهيدي" (ت ١٧٥هـ) في عينه: «والعدْلُ أن تَعْدَلَ الشيء عن وجهه فتميله، عَدَلْتُهُ عن كذا، وَعَدَلْتُ أنا الطريق»<sup>١</sup>. والمعنى نفسه يذكره "ابن فارس" (ت ٣٩٥هـ): «فأما الأصل الآخر فيقال في الاعوجاج: عَدَل، وانْعَدَل، أي انعرج»<sup>٢</sup>. أما "ابن منظور" (ت ٧١١هـ) فيقول: «ومن قولهم: عدل عنه يعدل عدولا إذا مال كأنه يميل من الواحد إلى الآخر»<sup>٣</sup>، وعلى الناموس نفسه نجد "القاموس المحيط"<sup>٤</sup> يورد هذه المعاني. ومن المعاجم العربية الحديثة يطالعنا معجم "المنجد" بالمعاني ذاتها (الميل والاعوجاج)، فيقول: «عَدَلَ عَدْلًا الطريقُ: مَال ... ومُعَادَلَةٌ الشيءُ: اعوجَجَ»<sup>٥</sup>. إذن، فمجموع معاني المادة (عدل) تصبّ في معنى واحد، هو الميل والخروج المقصود عن الأصل الواحد المتعارف عليه.

#### ب. المعنى الاصطلاحيّ

حاول جملة من العلماء والدارسين وضع تعريف للعدول، حيث عرفوه بأنّه: «التحوّل أو الانحراف عن المألوف من القيم أو الأوضاع أو أنماط السلوك والتي تتمثّل في كل متحوّل أسلوبيّ أو انحراف غير متوقع على نمط من أنماط اللّغة»<sup>٦</sup>، وبعبارة أخرى «استعمال غير مألوف في التعامل مع

<sup>١</sup> - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج ٢، ص ٣٩.

<sup>٢</sup> - ابن فارس، معجم مقاييس اللّغة، ج ٤، ص ٢٤٧.

<sup>٣</sup> - ابن منظور، لسان العرب، ج ٩، ص ٨٣.

<sup>٤</sup> - فيروزبادي، القاموس المحيط، ج ٤، ص ١٣.

<sup>٥</sup> - لويس معلوف، المنجد في اللّغة والأدب والعلوم، ص ٤٩٢.

<sup>٦</sup> - حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص ١١.

اللغة، إذ يغدو النص الشعري نصا يرنو إلى (اللاعقلانية) واللامألوف) و(اللاعادي)»<sup>١</sup>، أو يمكن القول فيه هو «خروج عن النمط العادي أو المألوف إلى النمط الفني أو المتميز من الكلام»<sup>٢</sup>؛ فمعنى "العدول" يدور من خلال هذه التعريفات في العبارة الآتية: هو خروج وكسر جوائز لمنطوية اللغة من الأصل المألوف المتمثل في المعايير والقواعد المتعارف عليها من قبل علماء العربية في مستوياتها المختلفة، إلى الفرع اللامألوف المستبين في النمط الفني الإبداعي، ولا يكون هذا الخروج إلا وفق دراية بالقواعد اللغوية التي ينطلق منها المنشئ ويستند عليها المتلقي حتى يسهل استكشاف الاستثناء (العدول)، لينتج عن ذلك قصد ضمني غير مباشر يصل له ذاك الأخير -المتلقي- بالاعتماد على كفاءته المعرفية تارة، والسياقية تارة أخرى.

## ٢. العدول في الدراسات العربية والغربية

إذا حاولنا تتبع ظاهرة العدول في معظم الدراسات العربية أصيلة والغربية، سنجدها قد لاقَتْ اهتماماً رغم اختلاف التوجّهات والتخصّصات.

### أ. العدول في الدراسات العربية

تفطن علماء العربية القدماء مبكراً إلى أنّ صناعة الخطاب يتأسّس على ظاهرة العدول بداية بالنحويين إلى البلاغيين فالأصوليين، ليحاول العرب المحدثين والمعاصرين الوقوف على مظهرات هذه الظاهرة، وهذا ما نحاول بيانه في العنصرين الآتيين:

#### أولاً. عند القدماء

لقد نال موضوع "العدول" اهتماماً واسعاً في المصنّفات الأصلية لعلماء العربية، وأعظمها مصنف "الكتاب" لـ "سيبويه" (ت ١٨٠هـ) فيباب (هذا باب ما جاء معدولاً عن حدّه من المؤنث)<sup>٣</sup> الذي صرّح فيه بلفظة "العدول" وشرحه بدقّة من الجانب الصرفي وتوظيف أمثلة، وبهذا يمكن أن نعتبره أقدم كتاب نحوي عند العرب تناول هذا المصطلح بدقّة متناهية<sup>٤</sup>. ومن أعظم ما وصل إلينا من الكتب الأصلية -أيضاً- "المقتضب"، حيث يشير النحوي "المبرد"

<sup>١</sup>-موسى سامح ربابعة، الأسلوبية مفاهيمها وتحليلاتها، ص ٤٣.

<sup>٢</sup>- عبد الحميد أحمد هندناوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم. دراسة نظرية تطبيقية. التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة، ص ١٤٦.

<sup>٣</sup>- سيبويه، الكتاب، ص ٣٠٣.

<sup>٤</sup>- نعيمة حمو، العدول النحوي في لغة الصحافة-جريدة الشروق اليومي أغوذجا-، ص ٢٤.

(ت ٢٨٥هـ) بحديث مطوّل عن العُدول خاصة "العُدول الصرفي" في (باب ما كان من الأسماء المعدولة على (فَعَال))<sup>١</sup>. ومثله في ذلك مثل "ابن جني" (ت ٣٩٢هـ) الذي يذكر مصطلح "العُدول" صراحة في (باب في العُدول عن الثقل إلى ما هو أثقل منه لضرب من الاستخفاف)<sup>٢</sup>. ويُعدّ "ابن المعتز" (ت ٢٩٦هـ) من البلاغيين الذين أعربوا عن "العُدول" من خلال ربطه (بالالتفات)، حيث يقول بلفظة "الانصراف" في (باب (التفات): «وهو انصراف المتكلم من المتكلم من المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك ومن الالتفات الانصراف عن الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر»<sup>٣</sup>؛ فالالتفات انصراف أو عدول من المخاطبة إلى الإخبار، ومن الإخبار إلى المخاطبة، وكذلك من معنى لمعنى آخر، وهذا الأخير يُعدّ من محاسن الكلام. ويُطالعنا البلاغي "عبد القاهر الجرجاني" (ت ٤٧١هـ). بمصنّفه المعروفين بـ"دلّائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" بجملة من المصطلحات الدّالة والمعبرّة عن "العُدول"، حيث نجد ذلك في سياق ذكره لأقسام الكلام الحسن والفصيح، فتارة يكون في اللفظ (القسم الأوّل)، وتارة يكون في النظم (القسم الثاني)، ولتأخذ القسم الأوّل (حسن اللفظ) الذي يقول فيه: «فالقسم الأوّل الكناية والاستعارة والتّمثيل الكائن على حدّ الاستعارة وكل ما كان فيه على الجملة مجاز واتساع وعدول باللفظ عن الظاهر»<sup>٤</sup>، وما كتاب "منهاج البلغاء وسراج الأدباء" إلا من الكتب البلاغية المشهورة الذي حاول فيه صاحبه "أبو حازم القرطاجني" (ت ٦٨٤هـ) التكلّم عن قضايا الشعر العربي، ومن بين قضايا الشعر حديثه عن "العُدول" باعتباره ميزة شعرية وقضيّة من قضاياها، فالاستراتيجية الشعرية لها غاية وحيدة هي تغيير المعنى... تغيير اللغة، حيث نراه أورد هذا مصطلح -العُدول- في خضم حديثه عن "الخطابة": «بأن يعدل بما عن طريقتهما الأصليّة»<sup>٥</sup>؛ وقد عني به الخروج عن الطريقة المألوفة المعياريّة الأصليّة.

<sup>١</sup>-المبرد، كتاب المقتضب، ج ٣، ص ٣٦٨.

<sup>٢</sup>-ابن جني، الخصائص، ج ٣، ص ١٨.

<sup>٣</sup>-ابن المعتز، كتاب البديع، ص ٥٨.

<sup>٤</sup>-عبد القاهر الجرجاني، دلّائل الإعجاز في علم المعاني، ص ٢٧٥. وأسرار البلاغة، ص ٣٠ و ٣٣ و ٢٣٨. والقزويني،

الايضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص ٣٣٠.

<sup>٥</sup>- Audet Noël, *Langage Poétique: écart ou errance du sens*, p459.

<sup>٦</sup>-أبو حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص ٦٣.

وعند ولوجنا إلى بحر العلوم التشريعية يستحضرنا الأصولي "ابن القيم الجوزية" (ت ٧٥١هـ) بتعرّضه للعدول بشكل صريح وبمعناه نحو "التّجوز"، و"جاز"، و"تعدّاه" في سياق شرحه (للمجاز)، يقول: «فاشتقاقه من جاز الشيء بجوزه إذا تعداه وعدل عنه، فاللفظ إذا عدل به عمّا يوجبه أصل الوضع فهو مجاز على معنى أنهم جاوزوا به موضعه الأصلي أو جاوز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً»<sup>١</sup>؛ فعرفّ المجاز من الناحية الاشتقاقية ليبين أن معنى "المجاز" هو "العدول"، و"العدول" هو تجاوز أصل الوضع وبهذا المعنى هو "مجاز".

#### ثانياً. عند المحدثين والمعاصرين

مثلاً كان للعلماء العرب القدامى نصيبهم الوافر في حديثهم عن فكرة العدول في صفحات كتبهم، كذلك كان للعرب المحدثين والمعاصرين حصة أوفر من تعمقهم في مصطلح العدول، بل وأصبحت نظرية قائمة بذاتها. فإذا ما التفتنا إلى الأسلوب التونسي "عبد السلام سنلاحظ بأنه قد قابل اللفظة الأجنبية (Écart) (بالانزياح) ثم (بالتجاوز)، وليس هذا فقط، بل إنه عاد للفظه العربية التراثية وأحيائها وهي لفظة "العدول". يقول: «كلمة انزياح ترجمة حرفية للفظه (Écart)، على أن المفهوم ذاته قد يمكن أن نصلح عليه بكلمة التجاوز، وأن نحبي له لفظة عربيّة استعملها البلاغيون في سياق محدد وهي لفظة "العدول"<sup>٢</sup>. ومن بين الدارسين المعاصرين "محمد الهادي الطرابلسي" صاحب دراسة -رسالة دكتوراه- حول أعمال شاعر من شعراء العصر الحديث وهو "أحمد شوقي" في ديوانه "الشوقيات" الذي يضمّ كافة أعماله الشعرية. فقد حاول أن يبرز الخصائص الأسلوبية لها فوق في ذلك وبجدارة، وفي سيرّ دراسته وتحليلاته تعرّض لخاصية أسلوبية هي "العدول" أو "الانزياح" الذي ذكره مع ما يرادفه مثل "التّجوز"، يقول: «أو أن يكون قائماً على تجوّز [الشعر] لبعض قواعد اللغة المطردة في القديم والحديث معاً، أو أن يكون الشاعر عدل عن السبيل المؤدي المباشر التي تنتظر من المتكلم بالعربية في ذلك المعنى إلى سبيل كثيرة الوسائط»<sup>٣</sup>؛ فأشار إلى أن شعر شوقي يقوم على "العدول" و"التجوز" عن بعض قواعد اللغة القديمة والحديثة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى "العدول" أو "التجوز" عن الطريق أو السبيل المباشر إلى سبيل كثير الوسائط.

<sup>١</sup> ابن القيم الجوزية، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ص ١٥.

<sup>٢</sup> عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص ١٦٢ - ١٦٣.

<sup>٣</sup> محمد الهادي الطرابلسي، خصائص الأسلوب في "الشوقيات"، ص ١١.

ليعرّف "صلاح فضل" العدول تعريفاً أسلوبياً مستعينا في ذلك بمصطلح مرادف له، وهو "الانحراف"، يقول: «إنّ الأسلوب هو في جوهره انحراف عن قاعدة ما»<sup>١</sup>؛ وفي رأيه لا يكون الأسلوب أسلوباً إلا ويحوي على عدول أو انحراف عن المعيار أو الأصل؛ فالأسلوب يصبح مسألة عدول/انحراف (écart ou déviation) بالنسبة إلى أصل معيّن (المعيار) (norme donnée)<sup>٢</sup>، لهذا كان جوهر الأسلوب هو "العدول"، وعُدّ سمة وميزة فيه «فقد عدّ التجوز أو الخروج سمة أسلوبية»<sup>٣</sup>، حتى أن الأسلوب اعتبر "علم الانحرافات" ليحرز بهذا وجوده القيمي المتميز في الأسلوب.

ويشرح "عبد الهادي بن ظافر الشهري" العدول - باعتباره تداولي - من خلال ثنائية (الأصل والعدول) أو ما سماه "بالدرجة الافتراضية" أو "درجة الأصل" - التي هي الأساس، وتنتمي لنظام من الأنظمة كالصوت والصرف والتركيب والمعجم والدلالة وتجنسد فيها، وهي الكفاءة المفترض وجودها في كل من طرفي الخطاب (المتكلم والمتلقي) و"درجة الانزياح" الذي هو عدول وخروج عن درجة الأصل أو الافتراضية، وكل هذا يكون بمقتضى السياق الذي يتطلب إما استعمال الأصل أو العدول عنه<sup>٤</sup>. ويؤكد على أهمية السياق عند التداولين في توظيف الأصل أو الانزياح الذي ينجرّ عنهما غاية ومقصد مستهدف. فيقول بلفظ "العدول": «ولا تستعمل هذه الدرجات بمعزل عن السياق، فاستعمال الدرجة الافتراضية أو العدول عنها، يعبر عن قصد تداولي»<sup>٥</sup>، في حين كان للنحوي العربي "تمام حسان" التفاتة متميزة تُستجلى في كتابه الموسوم بـ "الأصول"؛ فقد عقد قسمًا سماه "العدول" ليفصّل في هذه الفكرة من جوانب عدّة ومظاهر كثيرة، فيذكر في تفصيله ذاك مصطلح "العدول" وبشكل مكثّف، فيقول على سبيل المثال: «كل ذلك فروع للنون، وكله عدول عن الأصل بحسب الموقع، وبسبب ارتباطه بالموقع يعتبر عدولا مطردا، وبسبب اطراده يسهل رده إلى أصله»<sup>٦</sup>؛

<sup>١</sup>-صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، ص ٢٠٨.

<sup>٢</sup>-Jon Arild Olsen, *De l'analyse stylistique considérée comme explication intentionnelle*, p669.

<sup>٣</sup>-المهدي إبراهيم الغويل، السياق وأثره في المعنى، ص ٨٣.

<sup>٤</sup>-صلاح فضل، علم الأسلوب، ص ٢٠٨.

<sup>٥</sup>-ينظر، عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص ٦٨ و ٩٩.

<sup>٦</sup>- المرجع نفسه، ص ٦٩.

<sup>٧</sup>-تمام حسان، الأصول، دراسة إستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب النحو - فقه اللغة - البلاغة، ص ١١٠.

فهناك "الأصل والعدول عنه" (فروع النون)، وهناك "العدول وردّه لأصله" وتسهّل هذه العملية؛ لإطراد "العدول" في الموقع من جهة، والمعرفة "بالمعيار/الأصل" من جهة أخرى. ويذكر "تمام حسان" كذلك أن هذا "العدول" لا يكون هكذا، بل له شرط، وهو "أمن اللبس" «وشرط جواز العدول عن الأصل من هذه الأصول أن يؤمن اللبس فتتحقق الفائدة»<sup>١</sup>، فالحذف والتقديم والتأخير وغيرهما لا يكون إلا بدليل يؤمن اللبس للمتلقي فتنبع بذلك الفائدة المرجوة منه. وهذه "الأنماط والأشكال العدولية" جسدها في شكل عناوين لمحاوّر من خلال ثنائية (الأصل والعدول)، فقال: (العدول عن أصل وضع الحرف، والعدول عن أصل وضع الكلمة)<sup>٢</sup>، العدول عن أصل وضع الجملة)<sup>٣</sup>.

لقد شهدت تقنية العدول حضوراً قوياً في الدراسات الغربية رغم اختلاف مادتهم المدروسة، وهذا ما سنجدّه في العنصر الموالي:

#### ب. العدول في الدراسات الغربية

استخدم الغربيون مصطلح العدول في دراساتهم بمقابلات معينة أشهرها (L'écrat)؛ حيث نجد مايكل ريفاتير (M. Riffaterre) قد عبّر عن "العدول" بمصطلح "Agrammaticalité"<sup>٤</sup> الذي ترجمه مترجم كتابه "محمد معتصم" بـ: "اللائحوية"، ويعني هذا المصطلح وفق فكرة ريفاتير -وحسب المترجم-: «كل واقعة نصية تُشعر القارئ بخرق قاعدة»<sup>٥</sup>، فمجال "اللائحوية" أو "Agrammaticalité" هو العدول والخرق القاعدي بأنواعه ومستوياته، وهذا الخرق يشعر به القارئ أثناء حدوثه.

إلا أنّ النظرية القائمة للعدول تظهر وبشكل واضح ومفصّل عند الأسلوب "جون كوهين" (J. Cohen) في كتابه "نظرية الشعر"، الذي عبّر عنه بمصطلح "المجازة"<sup>٦</sup>، وهو ترجمة لـ (écrat)، وبربطه بالأسلوب يقول: «الأسلوب هو ما ليس شائعاً ولا عادياً ولا

<sup>١</sup>- المرجع نفسه، ص ١٢٢.

<sup>٢</sup>- المرجع نفسه، ص ١٢٨.

<sup>٣</sup>- المرجع نفسه، ص ١٣٠.

<sup>٤</sup>- مايكل ريفاتير، دلالات الشعر، ص ٨.

<sup>٥</sup>- المرجع نفسه.

<sup>٦</sup>- جون كوهين، النظرية الشعرية بناء لغة الشعر اللغة العليا، ص ٣٥.

مصوغا في "قوالب" مستهلكة<sup>١</sup>، بل هو «مجازة بالقياس إلى المستوى العادي»<sup>٢</sup>؛ فالأسلوب ليس كلاما عاديا وشائعا، ولا قالبا مستهلكا عند المتكلمين، بل تظهر فيه خاصية مميزة وسمية هي المجاوزة/العدول، وتُعرف هذه السمة بقياسها ومقابلتها بالمستوى العادي. إذن، جعل الأسلوب هو مجاوزة وهي أساسه، فمفهوم العدول نفسه جوهرى في نظرية كوهين<sup>٣</sup>، وبهذا وضّح فكرة ومفهوم العدول.

وعليه، وُجد مصطلح العدول بلفظه ومعناه عند العرب القدماء مع وجود مرادفات له نحو التجوز، الانصراف، الخروج، الشجاعة العربية...، من دون قصد لها، بل ذُكرت لأجل إيصال معنى معين أثناء تحرّهم في تأليفاتهم النحوية والبلاغية والأصولية. في حين كان المحدثون المعاصرون ينقلون ترجمات من الغربيين بالغة التعدد من باحث لآخر مع تعرضهم للعدول في حد ذاته الموجود في تراثهم. أما الغربيون فقد تأسست عندهم نظرية العدول، ولكن بمصطلحهم الشهير (L'écart).

وبعد هذا العرض التاريخي لمصطلح العدول، نعود ونذكّر أن مجال الدراسة وميدان تحليل فكرة "العدول" تتموقع في التركيب الاسميّ؛ الذي ينسج على ركنين أساسيين هما: المسند والمسند إليه، فيعتبران كما قال "سيبويه": «مما لا يبغي واحد منهما عن الآخر، ولا يجد منه بدا»<sup>٤</sup> وتربط بينهما علاقة ذهنية مجردة، «ذلك أن الإسناد في اللغة العربية يكفي فيه إنشاء علاقة ذهنية بين المسند والمسند إليه دون التصريح بذلك نطقا أو كتابة»<sup>٥</sup>، وما الجملة الاسمية إلا مركب مبدوء باسم. ومقياس العدول تخضع هذه الجملة أو المركب لعوامل ومؤثرات متنوعة تعترضها وتسحبها نحو الخروج عن الأصل المألوف إلى الفرع غير المألوف نحو العدول بالترتيب (التقديم والتأخير)، والعدول بالنقصان (الحذف). وتأسيسا على هذا سنحاول إظهار بعض العدولات التجاوزية في القصائد الشعرية الأندلسية للشاعر

<sup>١</sup>- المرجع نفسه.

<sup>٢</sup>- المرجع نفسه.

<sup>٣</sup>-Noël Audet, *Langage Poétique: écart ou errance du sens*, p٤٥٩.

<sup>٤</sup>- سيبويه، الكتاب، ج١، ص٢٣.

<sup>٥</sup>-صالح بلعيد، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ص١٠٢.

"ابن خفاجة الأندلسي"<sup>\*</sup>، كونها الأكثر انتشاراً في شعره، حيث تجسد العملية التواصلية بينه وبين المتلقي، مع وجود ظواهر عدولية أخرى لا يتسع المقام لعرضها.

### ٣. العدول التركيبيّ الاسميّ في قصائد "ابن خفاجة الأندلسي"

مساحة العدول التركيبي واسعة جداً، وذلك لشساعة مجالاته ومظاهره المتنوعة، فلم يبق على المبدع غير أن يحدّد نوع التقنية التي يلجأ إليها في عمله الإبداعي، ليحاول طرفه الثاني (المتلقي) أن يكتشفها من أجل الوصول لمقصد هذا العدول، فـ «إذا كان الأسلوب هو الطريقة المختارة للتعبير عن المعنى فإن لاختيار هذه الطريقة دون غيرها من الطرق الموصلة إلى هذا المعنى مقصداً معيناً يقصد، إليه صاحب الأسلوب يجعل العنصر المختار مؤشراً أسلوبياً يشير إلى قصد ما»<sup>١</sup> هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ينساق المبدع لهذه الاختيارات سعياً منه لإبراز قدراته الفنيّة وموابعه التعبيرية في نصّه الإبداعي من خلال خرقه للنسق المألوف وكسره لأفق التوقّع لدى المتلقي، لجعله حافلاً بعناصر التشويق والإثارة<sup>٢</sup> الناتجة عن العدول بجلّ صورته، خاصة العدول التركيبي.

وعليه، كان "العدول التركيبي" هو الخروج عن النسق المألوف في الجملة النواة الأصلية، سواء بحذف، أم بخلخلّة ترتيب، أم بإدخال أشكالٍ وصورٍ من الزيادات في أحد عناصر الجملة لتصبح جملة

<sup>\*</sup> أبو إسحاق إبراهيم بن خفاجة: هو الفقيه والأديب إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجة الهواري، من جزيرة "شقر" (JUCAR) من أعمال بلنسية حيث ولد فيها سنة (٤٥٠هـ) أيام ملوك الطوائف، وبعدها أقام مدةً بالمغرب ونزل بمدينة "تلمسان"، فراح ينظم الشعر لحنيه للأندلس وابتعاده عنها، وفي شبابه كان صاحب هوه ومجون فلما تقدمت به السناب ونسك وصار يكره أن يسمع أيام فتكه، ونظراً لشغفه بطبيعة بلاده والجنان والرياض، ضمّنها في شعره إلى درجة أنه لا يخلو غرض من الأغراض من ظواهر الطبيعة، حتى سماه بعضهم بـ "السنوبر الأندلسي" والجنان"، وهو يعدّ من فحول الشعر الأندلسي وأشهر وصافيّ الطبيعة، وصاحب نرعة خفاجية متميّزة. توفي في موطنه سنة (٥٣٣هـ) تاركاً ديواناً مطبوعاً عالج فيه أغراضاً عديدة منها: الوصف، الرثاء، المدح، الغزل، الزهد، والفخر...، ومن الموضوعات المتفرقة: الحكمة والخواطر، والشكوى، والعتاب...، وقد ترجم له كل من "الخريدة"، و"الذخيرة"، و"معجم الصّدي"، و"المغرب"، و"الرايات"، و"الوفيات"، و"الأعلام"، و"أوراق متفرقة من النفح"؟ (ابن خاقان، قلاند العقيان ومحاسن الأعيان، ج ٤، ص ٧٣٩. وابن خفاجة، الديوان، ص ٧ و ١٠).

١- تمام حسان، البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنصّ القرآني، ص ٤٨٩.

٢- ينظر، جلال عبد الله محمد سيف الحمادي، العدول في صيغ المشتقات في القرآن الكريم دراسة دلالية، (رسالة ماجستير)، ص ٦٢.

محوّلة، وكلّ هذا لمقصد ضمنيّ يسعى المنشئ إلى إيصاله للمتلقّي، ويجاوب هذا الأخير الوصول له بواسطة درايته اللّغوية تارة، والسيّاقية تارة أخرى.

وبذلك، فالعدول التركيبيّ، أو ما يسميه "تمام حسن" (العدول عن أصل وضع الجملة)<sup>١</sup> يتجسّد «بواسطة الحذف، أو الإضمار، أو الفصل، أو تشويش الرتبة بالتقديم والتأخير، أو التوسيع»<sup>٢</sup>. واعتمادا على ما سبق، يمكن أن نستجلي في قصائد الشاعر الأندلسي مظهرين عدوليين تركيبين بارزين، هما: العدول بالتّقديم والتأخير (الترتيب)، والعدول بالحذف (النقصان).

### أ. العدول بالتّقديم والتأخير (الترتيب)

تحوي اللغة على فروع قواعدية تنبأها ونحأها نحاة العربية في صميم كتبهم السحيقة والعميقة والعميقة زمنيا وضمنيا، منها العدول بـ"التقديم والتأخير" (الترتيب)، الذي يعدّ من المباحث المهمّة المهمة التي حظيت بعناية كبيرة من قبل النّحاة والبلاغيين<sup>٣</sup> وحتى الأسلوبيين؛ وفي نظر هؤلاء يعتبر هذا العدول العارضي تحقيقا للانحراف والانزياح<sup>٤</sup>. أما إذا جئنا للنحاة القدماء، وعلى رأسهم "سيبويه"، فنراهم لم يذكروا تعريفا محددًا أو صريحا للتقديم والتأخير، بل كانوا يوردون أمثلة، حيث يقول "سيبويه" في صدد تحديد أهميته ودوره في المعنى: «والتقديم والتأخير في ما يكون ظرفا أو يكون اسما في العناية والاهتمام فمن ذلك قوله عزّ وجل: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص/٤] وأهل الجفاء من العرب يقولون "ولم يكن كفؤا له أحد" وكأنهم أخروها حيث كانت غير مستقرة»<sup>٥</sup>. ويتصدر "عبد القاهر الجرجاني"، الذي أبدع في وصف هذا الباب وتبيان قيمته البلاغية والكشف عن أسرارها الجمالية بالنسبة للمتكلم والمستمع، البلاغيين بقوله، حول التقديم والتأخير: «هو باب كثير الفوائد، جمُّ المحاسن، واسع التصرّف، بعيد الغاية لا يزال يفتّر لك عن بدعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى أن راقك ولطف عندك، أن قدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان»<sup>٦</sup>، ومثله

١- تمام حسان، الأصول، دراسة إستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب النّحو - فقه اللغة - البلاغة، ص ١٣٠.

٢- المرجع نفسه، ص ١٣٠.

٣- فتح الله احمد سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، ص ٢٠٣.

٤- مختار عطية، التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة والأسلوبية، ص ٢١١.

٥- سيبويه، الكتاب، ج ١، ص ٥٦.

٦- عبد القاهر جرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص ٨٣.

في ذلك "الزرکشي" (ت ٧٩٤هـ)<sup>١</sup>. وقد ذكر "تمام حسان" هذه القضية في كتابه النحوي، قائلاً: «الأصل في المبتدأ والخبر تقديم المبتدأ وتأخير الخبر ولكن هذه الرتبة غير محفوظة، إذ قد تخضع للاعتبارات السياقية والأسلوبية كما قد تخضع بجواب عكسها أو وجوبها»<sup>٢</sup>، فجعل مراتب التقديم والتأخير خاضعة لمؤثرات سياقية ليتحقق بذلك رتب غير محفوظة. وعناية الدرس اللغوي الحديث والمعاصر بهذا العارض كان له أهمية وأثر كبير في تحقيق جانبين أساسيين للغة والمتلقي، هما: توليد جمل جديدة، وتحقيق معاني جديدة<sup>٣</sup>. وكما أن للحذف والزيادة أثر في الدلالة كذلك يكون تغيير الرتب مؤثراً؛ باعتبار أن دلالة تقديم الخبر ليست هي دلالته عند تأخيره.

وللتقديم والتأخير أضرب عديدة تمنهجت نتيجة لتوجه كل عالم، ومن أشهرها ما جزّاه جني" (ت ٣٩٢هـ)؛ فهي عنده ضربان، فالأول "ما يقبله القياس"؛ نحو تقديم المفعول على وتقديم المفعول على الفعل الناصب له نحو: "ضرب زيداً عمرو"، و"زيداً ضرب عمرو"<sup>٤</sup>. أما الثاني فهو "ما يسهله الاضطرار"؛ مما يصح ويجوز تقديمه، نحو تقديم خبر المبتدأ على المبتدأ، نحو: "قائم أخوك"، و"في الدار صاحبك"<sup>٥</sup>، في حين نجد "الجرجاني" قد جعل، في كتابه "دلائل الإعجاز"، التقديم على ضربين كذلك، واشتهر بهما؛ فأحدهما، يكون التقديم فيه على نية التأخير<sup>٦</sup>؛ وهو الذي يقدم فيه المتأخر ويبقى على حكمه الذي كان عليه من قبل<sup>٧</sup>؛ كما في قولك "منطلق زيد" و"ضرب عمرو زيد"<sup>٨</sup>، فلم ينصرف المتقدم عن بابه ولم يحول عن أصله؛

١- الزرکشي، البرهان في علوم القرآن، ج ٣، ص ٢٣٣.

٢- تمام حسان، الخلاصة النحوية، ص ١٠٩.

٣- شكري محمد عبد الله، دلالة الجملة الاسمية في القرآن الكريم، ص ٢٢٧ و ٢٢٩.

٤- ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ٣٨٢.

٥- المرجع نفسه، ج ٢، ص ٣٨٢-٣٨٣.

٦- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص ٨٣.

٧- مختار عطية، التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة والأسلوبية، ص ٧٩.

٨- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص ٨٣.

الخبر المقدم احتفظ بجزئيته، واحتفظت الجملة بأصلها فظلت جملة اسمية كما هي<sup>١</sup>. والآخر، يكون التقديم فيه ليس على نية التأخير<sup>٢</sup>؛ في هذا النوع ينتقل حكم المقدم إلى غير حكمه ويجعله في باب غير بابه فيختلف بذلك إعرابه<sup>٣</sup>؛ مثل تقديم الخبر المعرفة على المبتدأ المعرفة، نحو "زيد المنطلق" فإذا ما وقع التقديم تقول: "المنطلق زيد"، هنا خرج المقدم (المنطلق) عن بابه فصار "مبتدأ"، بعد أن كان في الجملة الأولى خبراً للمبتدأ (زيد)، كما خرج المؤخر عن بابه أيضاً فصار (زيد) "خبراً" بعد أن كان في الجملة الأولى "مبتدأ"<sup>٤</sup>. ونجد تقسيماً آخر لدى "ابن الأثير" (ت ٦٣٧هـ)<sup>٥</sup>، و"الزركشي"<sup>٦</sup>، و"السيوطي" (ت ٩١١هـ)<sup>٧</sup> الذين ورد عنهم التقديم والتأخير على أنواع عديدة حسب الموقف والسياق الداعي لذلك.

إذن، فَجَعَلَ علماء النحو الرتبة محفوظة وغير محفوظة يسهل عملية التحويل والتغيير والعدول والعدول وهذا لا يرد اعتباراً، وإنما يكون عملاً مقصوداً يقتضيه غرضٌ بلاغيٌّ أو دافعٌ من دواعيه<sup>٨</sup>، دواعيه<sup>٨</sup>، تُخَصُّ المخاطب والسياق الكلامي الذي يرد فيه التركيب<sup>٩</sup>، وقد تتجمع عدة دوافع من أجل إخراج الأسلوب على الترتيب الذي أراده صاحبه<sup>١٠</sup>. وقد حظيت قصائد "ابن خفاجة" بهذا الشكل والمظهر العدولي الترتيبي، من خلال قوله في وصفه للكأس والخمرة التي كنى لها بالصفرة، حيث نراه

١- أمل منسي عائض الخديدي، عوارض التركيب في شعر عبد الله بن قيس الرقيات (دراسة نحوية)، (رسالة ماجستير)، ص ١٠٣، ١٠٢. ومي إليان الأحمر، التقديم والتأخير في النحو والبلاغة، (رسالة الماجستير)، ص ٦٦. وفتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، ص ٣٠٢. وإنعام فوال عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة والبديع والبيان والمعاني، ص ٣١٢.

٢- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص ٨٣.

٣- مي إليان الأحمر، التقديم والتأخير في النحو والبلاغة، (رسالة ماجستير)، ص ٦٦.

٤- أمل منسي عائض الخديدي، عوارض التركيب في شعر عبد الله بن قيس الرقيات (دراسة نحوية)، (رسالة ماجستير)، ص ١٠٣.

٥- ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج ٢، ص ٢١٠ و ٢٢٥.

٦- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ٣، ص ٢٥١ و ٢٨٥.

٧- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص ٥٠٢ و ٥٠٥.

٨- عبد العزيز عتيق، علم المعاني في البلاغة العربية، ص ١٣٦.

٩- رايح بومعزة، التحويل في النحو العربي مفهومه-أنواعه-صوره-البنية العميقة للصيغ والتراكيب المحولة، ص ٧٣.

١٠- منير محمد المسيري، دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم (دراسة تحليلية)، ص ٤٩.

يُظهر كل طاقته التخيلية لرسم لوحة طبيعية تجعل القارئ ينساب وراءها وكأنه في حالة سُكر وضياح. يقول:

فَطَرَفُكَ مَا رَاقَ مِنْ مَسْحَةٍ عَلَيْهِ وَاللَّشَّمْسُ نُورُ الْقَمَرِ<sup>١</sup>

يعمد الشاعر إلى عنصر المراوغة من خلال خلخلة التركيب في عجز البيت النفيس قارئه المتأمل، فلجوءه «إلى تشكيل فني يدفع المتلقي إلى التأمل الذي يكشف عن رؤيته»<sup>٢</sup>، لهذا عدل عن الأصل وتجاوزته بتقديم الخبر شبه جملة (للشمس) على المبتدأ المعرف بالإضافة (نور القمر)، والأصل (نور القمر الشمس)، فتعمد هذا التقديم والترتيب الجائز قاصدا ضمنا منه تخصيص الخبر بالمبتدأ في أن مصدر نور القمر وإشعاعه هو الشمس، وأن هذا الكوكب الناري يُنسب إليه ضوء وسنا ويريق الكوكب الفضي اللجيني. فهذه الصورة التشبيهية الضمنية يصف الساقى مع الخمرة التي عبر عنها بالصفرة والنار؛ فهي الشمس والكوكب اللاهب التي تمدّ بجمالها إضاءة للساقى فيتحول كالقمر المضيء، هذا من جهة. ومن جهة أخرى يمكن عدّ الغرض الإيقاعي الخاص برعاية الوزن والقافية أحد المقاصد الظاهرة والبيّنة.

أما إذا جئنا إلى مرج الرثاء فهو أرض واسعة ترعى فيها مختلف العبارات والكلمات التي وجدت مكانا فيها، ولكن لم تقتصر على هذا المكان المميز، بل تطمح إلى أن تتخلل إلى نقطة عميقة في ذهن القارئ وتربع عرشها. ففي قصيدة "شراب الأمانى سراب" يرثي الوزير "أبا ربيعة" الذي دعا له:

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مِنْ صَاحِبِ قَضَى، فَاجْهَشَ رَبْعٌ، بَعْدَهُ، وَجَنَابُ<sup>٣</sup>

حيث يتسلل العدول عن الأصل للبيت فيأخذ مكانه في الصدارة بتقديم الخبر، شبه الجملة؛ الجار والمجرور (عليك) على المبتدأ المعرف بالإضافة (سلام الله)، فالأصل تقديم ذكر الله (سلام الله عليك)، قاصدا منه حصر وقصر الدعاء والسلام والتحية على (أبا ربيعة) من رفيقه ومُعاشره "ابن خفاجة" حتى إنه حكم له وعلى جميع الدنيا وما حولها والحي وأبناؤها بالكاء كون الدعاء «عادة لغوية ذات بنية لسانية خاصة، تنطوي باستمرار على طريقة تعبيرية

<sup>١</sup>-ابن خفاجة، الديوان، ص ٨٩.

<sup>٢</sup>-صالح علي سليم الشيبوي، ظاهرة الانزياح الأسلوبي في شعر خالد بن يزيد الكاتب، مجلة جامعة دمشق، ص ٩٣.

<sup>٣</sup>-ابن خفاجة، الديوان، ص ٣١٥.

لا ينفصل فيها البلاغي عن السيكولوجي<sup>١</sup>، فما مرثيه سوى منبع الخير والفعل الحميد، فلم يرتكب ما يسيء إلى غيره ولم يترك عيباً وعاراً في شخصه، وهذا ما أكدّه بقوله:

تَوَلَّى حَمِيدَ الذِّكْرِ لَمْ يَأْتِ وَصْمَةً فَتَبَقَى وَلَمْ تَدْنَسْ عَلَيْهِ ثِيَابٌ<sup>٢</sup>

لا تزال جعبة شاعرنا الأندلسي تُدرّ نفيساً وعلقا وتعبق نسيماً وعطراً، ففي معرض مدحه لأحد الوزراء الذي قاد معركة حاسمة مع العدو الرومي واتصف بصفات جليلة من كرم وعطاء. فما ممدوحه إلا رمز للأمان، وما توجد نفس إلا علقت به وشعرت بالسلام وكانت معصومة من كل خطر، فيقول:

ظَلَّ يَنْدَى وَجْهَهُ حَفَرًا، وَهُوَ ذَاكِي شُعْلَةَ الْفَهْمِ<sup>٣</sup>

إنّ حالة الوجد التي خنقت أنفاس الشاعر جعلته يخرق النظام الأصلي بعدوله المركب بزيادة الناسخ "ظَلَّ" في الجملة الاسمية وبتقديم خبرها الجملة الفعلية (يندى) على اسمها (وجهه)، والأصل (ظَلَّ وَجْهَهُ يَنْدَى)، وما كان هذا الخروق عبثاً، بل لمقصد من ورائه يلائم المقام المفروض عليه، فـ«مخالفة الكلام لصياغته اللغوية الأصلية المفترضة [تكون] لتحقيق قيمة جمالية أو دلالة بلاغية»<sup>٤</sup> تتجلى في الافتخار بصفة الحياء الطاغية عليه وعلى وجهه خاصة، وليس هذا فحسب، بل قدّم الخير (يندى) لإبراز مقدار هذا الحياء، فهو كالماء يملأ وجهه كلّه ليبتل به طوال النهار، ليعلم قارئه أن شمة الحياء لا تخصّ النساء فقط، بل تصيب الرجال أيضاً.

وفي قصائده وُجِدَتْ ظاهرة لافتة للانتباه تجوب في أنحاء وزوايا الكلمات تارة والأبيات تارة أخرى، وهذه الظاهرة تكمن في تغيير ترتيب الاستثناء المتحقق بـ (المستثنى منه، والأداة، والمستثنى)، إلا أنّ ذلك قد كُسر بشجاعة لغوية أسلوبية لاعتبارات سياقية مقصدية، وهذا ما نجدّه في قوله:

عَشِيَّةً، لَا مِثْلَ الْجَوَادِ ذَخِيرَةً، وَلَا مِثْلَ رَقْرَاقِ الْحَدِيدِ عَتَادَةً<sup>٥</sup>

<sup>١</sup>-ناظم عودي، نقص الصورة. تأويل بلاغة الموت، ص ٦٨-٦٩.

<sup>٢</sup>-ابن خفاجة، الديوان، ص ٣١٥.

<sup>٣</sup>-المرجع نفسه، ص ٢٧٩.

<sup>٤</sup>- إبراهيم بن منصور التركي، العدول في البنية التركيبية قراءة في التراث البلاغي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ص ٥٥٠.

<sup>٥</sup>-ابن خفاجة، الديوان، ص ٦٥.

فالألفت للانتباه هنا، مظهر ترتيبي مثير يكثر في صميم المدونة، بل يتحقق بقوة وهو تقديم المستثنى وأداته، وما الأصل إلاّ قوله: (ولا ذخيرة مثل الجواد، ولا عتاد مثل رقرق الحديد)، مبرزا الشاعر مقصده من خلال هذه العدولات والتجاوزات الشعرية عن الأصل التي تتماشى وسياقه، منها جذب القارئ إلى ظاهرة منتشرة في أبياته والتي أدخلها لاهتمامه بشيء معين، إضافة إلى مراعاة القافية في نهاية الأبيات، والأهم هو الإجلال، والافتخار، والتباهي بصفات الفارس الأندلسي، وهي: (الجواد، والسيف)، بل عدّها عتاده وذخيرته؛ حيث عكس الشاعر بهذا العدول صورة الفارس السائر تحت سماء مغيمة تحتضن المطر وهو يركب حصانا سريعا يواكب الرياح، وما هذا إلاّ دليل على شهامة فرسان الأندلس وقوتهم؛ فبعد حلوله في القفار البعيدة و«خوض غمرات الوجود وقطع فيافي الأرزاء ومواجهة المخاطر والردي مغامرا بنفسه»<sup>١</sup>، وبعد حلول أول الظلام عليه (عشية) لا يجد إلاّ الجواد الأصيل الذي حفظه لوقت الحاجة، ولا غير السيف اللامع المتلألئ ليلا عدة له.

ونلاحظ أن الشاعر قد حاكى شاعر من شعراء الدولة العباسية المشهور وهو "أبو نواس" الخمري، حيث راح يظهر مدى براعته في الجمع بين وصف الخمرة والساقى، فقال ينشد:

حَيًّا بِهَا، وَنَسِيمَهَا كَنَسِيمِهِ، فَشَرَبْتُهَا، مِنْ كَفِّهِ، فِي وَدِّهِ  
مُنْسَاغَةً، فَكَأَنَّمَا مِنْ رِيْقِهِ؛ مَحْمَرَةً، فَكَأَنَّمَا مِنْ خَدِّهِ<sup>٢</sup>

فأثناء سباحته في حروفه وكلماته ومعانيه السحرية عدل ترتيبيا بتقديم (الحال) (منساعة، محمّرة) في كل من الصدر والعجز، والأصل قوله (فكأنما من ريقه منساعة، فكأنما من خدّه محمّرة)، ليكسبها قيمة جمالية فـ«مخالفة الكلام لصياغته اللغوية الأصلية المفترضة لتحقيق قيمة جمالية أو دلالة بلاغية»<sup>٣</sup>، تتجلى في بيان فرحته، ونشوته، وسروره الطاغين عليه خاصة أثناء شربه للخمرة، وقد عكس هذه الحالة النفسية المسيطرة عليه من خلال تجسيد الخمرة في الساقى لإبراز حالتين مثيرتين لها وهما: حركتها عند شربها، وجمال لونها الممّغري؛ فبتقديمه هذا اختصّ على الريق

<sup>١</sup>-كمال عصام السيوفي، الانفعالية والإبلاغية في البيان العربي، ص ٢٠٢.

<sup>٢</sup>-ابن خفاجة، الديوان، ص ٧١.

<sup>٣</sup>-إبراهيم بن منصور التركي، العدول في البنية التركيبية قراءة في التراث البلاغي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ص ٥٥٠.

وشرب الخمرة، سهولة الابتلاع مع لذتها، واختصّ للحدّ، الاحمرار الناري الخمري الحارق، حاذبا بهذا مُحيي الخمرة إليها لخطف رشفة سحرية لا خلاص منها.

ولم يتوقّف "ابن خفاجة" عند هذا الحدّ، بل راح يسبك بخياله البحر مع الأحزان ليخرجها في قالب منحوت تتفاجأ العقول والنفوس بما كون مصدرها مأساة "ابن أخته" في "أغمات". حيث يقول:

غَرِيقًا بِبَحْرِ الدَّمِّ وَالهَمِّ وَالدَّجَى،      وَلَوْ كَانَ بَحْرًا وَاحِدًا كُنْتُ أُسْبِحُ<sup>١</sup>

ففي صميم وأغوار هذه الأحزان نراه قد أنبت عدولا يظهر في تقديم الحال (غريقا) والأصل (ببحر الدمع والهَمّ والدجى غريقا)، لينفث من بينها عطورا من المقاصد والمرامي تكمن في تعجيل المساء لأن حاله هالكة وغرقى في الماء والبحر، وأيُّ بحر! بل بحور من الدموع، والآلام، والأوجاع، والأحزان، والظلمة، فكيف لا يغرق في كثرتها وكان باستطاعته العوم والنّجاة والتقدم في حالة السباحة في بحر واحد من الهَم، وهذا ما تمناه بأداة "لو"، وبهذا حاول الشاعر إبراز للقارئ هول المأساة والمعاناة التي يعيشها بفقد "ابن أخته" (محمد)، وقد كان مُتنفّسه الوحيد في ذلك هو شعره بعدما كان الحوار الداخلي الذاتي مع نفسه (مونتولوج) يُسيطر عليه «ولا ريب في أنّ حالة الشاعر النفسية والانفعالية قادتته إلى اصطناع هذا الحوار»<sup>٢</sup>.

### ب. العدول بالحذف (النقصان)

لقد تشبعت قصائد حتى النّخاع بظاهرة أخرى من مظاهر العدول التركيبية المتفشية بشكل مثير للاهتمام في مختلف مروج أغراض الشعر من وصف ورتاء وغزل. ألا وهي ظاهرة "الحذف"؛ الذي يُعدُّ من أبرز الاعتراضات العدولية التركيبية في الكلام، فلا تكاد تخلو منه جملة من الجمل<sup>٣</sup>، لهذا نجد "سيبويه" يقول عنه: «إسقاط عنصر من عناصر النّص، سواء كان المسقط حركة أو حرفا أو كلمة أو جملة»<sup>٤</sup>، هذا بالنسبة للنحويين، أما بالنسبة للبلاغيين، فيطالعنا "عبد القاهر الجرجاني" (ت ٤٧١هـ) الذي قدم لنا وصفا لهذا الباب من حيث أهميته البلاغية ودلالته الجمالية والبيانية والنفسية فيقول: «هو بابٌ دقيق المسلك، لطيف المآخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به

<sup>١</sup>-ابن خفاجة، الديوان، ص ٣١٧.

<sup>٢</sup>-صالح علي سليم الشتيوي، ظاهرة الانزياح الأسلوبي في شعر خالد بن يزيد الكاتب، مجلة جامعة دمشق، ص ٩٢.

<sup>٣</sup>-محمد الهادي الطرابلسي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، ص ٣٠٢.

<sup>٤</sup>-مصطفى شاهر خلوف، أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز، ص ١٤.

ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبين، وهذه الجملة قد تذكرها حتى تخبر، وتدفعها حتى تنظر<sup>١</sup> فهي علاقة إرسال بين المرسل والمتلقي لتصنع عملية إستراتيجية فائقة الدقة كونها «تفاعل من نوع ما بين المرسل والمتلقي قائم على الإرسال الناقص من قبل المرسل، وتكملة هذا النقص من جانب المتلقي»<sup>٢</sup>؛ إذن فسبب تسميته عدول بالنقصان؛ هو ترك فراغ في الكلام بحذف الكلمة أو جزء منها أو جملة، فيعمل القارئ على ملأ هذا الفراغ والنقصان باعتماده على أسلحة تساعد في ذلك، متمثلة في "السياق" بأنواعه إضافة "للدلائل" و"القرائن"، لأن من شروط الحذف ألا يكون محلا بالمعنى، إذ لا بد من وضوح المحذوف في ذهن المتلقي وإمكان تخيله، ولا يكون ذلك إلا بوجود تلك "القرائن" أو "الدلائل" التي تعين على تحديد المحذوف<sup>٣</sup> وهذا ما أكدّه "ابن يعيش" (ت ٦٤٣هـ)<sup>٤</sup>. والدلائل نوعان: أولها: "الدليل المقالي" الذي يكون بوجود دليل لفظي<sup>٥</sup> على المحذوف، ومن شروطه التطابق مع المحذوف<sup>٦</sup>، نحو قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾ [النحل/٣٠]، أي (أنزل خيرا)<sup>٧</sup>؛ فالتقدير يستنتج من الدليل المذكور في الآية وهو (أنزل)، وثانيها: "الدليل المقامي" (الحالي): وهو ما دلّ عليه المقام كأن تقول لمن كان يتكلم وسكت: حديثك، أي "أكمل"<sup>٨</sup> وغيرها من الأمثلة.

وبما أنه عدول تركيبى عن الأصل الترتيبى فلا بد من وجود تخريج ومقصد وهدف بلاغي لهذا العدول، حيث لا يقتصر على المستوى السطحي وإنما يمتد إلى المستوى الدلالي

١- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص ١١٢.

٢- فتح الله احمد سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، ص ١٣٧.

٣- رفاعة طه أحمد، عوارض التركيب في بناء الجملة العربية دراسة نحوية في ضوء سورة البقرة، (رسالة ماجستير)، ص ٤.

٤- ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشري، ج ١، ص ٢٣٩. وابن هشام، شرح قطر الندى وبل الصدى، ج ١١، ص ١٢٥.

٥- فضل صالح السامرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، ص ٧٦.

٦- ابن هشام، معني اللبيب عن كتب الأعراب، ج ٢، ص ٣٦٤.

٧- فضل صالح السامرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، ص ٧٦.

٨- المرجع نفسه، ص ٧٧.

العميق، مما يعني أن المستوى اللغوي المادي مرتبط إلى حدّ بعيد وعميق بالدلالات<sup>١</sup> والمقاصد والأغراض البلاغية الضمنية المرجوة من هذا العدول الحذفي. ومن الأمثلة التي تستوقفنا في ديوان "ابن ديوان" ابن خفاجة الأندلسي" قوله، في أشهر قصائده الموسومة بـ"مثنوى الحبيب": فلا بكاء أو تحسر أو تحسر إلا ورماه وأدرجه فيها، مكونا عقدا فريدا من نوعه. ومضمون هذا العقد رثاء لابن أخته أخته "محمد" الذي مات في بلدة مغربية اسمها "أغمات" إلا أنّ شاعرنا تلقى خبره المفزع في جزيرة جزيرة الأندلس، حيث يقول في أحد أبياتها:

غُلامٌ، كما استَحشنتَ جانبَ هَضْبَةٍ، ولأنّ على طشٍّ، من المزنِ، أبطحُ<sup>٢</sup>

فالعدول أو الانزياح يظهر في مقدمة هذا البيت بحذف المبتدأ لـ(غلام) خارجا عن الأصل القياسي والممثل في ذكره والتصريح به (محمد غلام) أو (هو غلام)، كونه ناسب السياق الخارجي وهو سياق "حزن وأسى وتحسر" فضايق عليه المقام الذي أرغمة على الحذف طورا، وطورا آخر كان للسياق الداخلي اللغوي دور بقريته الإحالية القبلية العائدة على "محمد" المذكور قبلا، إضافة أنّه واضح ومعلوم في ذهن المتلقي هذا من جهة، ومن جهة أخرى يرمي ويقصد بهذا الحذف إلى التخفيف، وتركيز الاهتمام على الخبر، وصفته، وسنّه، وحاله، فمن فوائد الحذف أنّه يُساهم في تحقيق «اللذة بسبب استنباط الذهن للمحذوف، وكلّما كان الشعور بالمحذوف أعسر، كان الالتذاذ به أشدّ وأحسن»<sup>٣</sup>.

وفي باب "الرثاء"، وخاصة الوزير "أبا محمد بن ربيعة"، يقدم لنا ابن خفاجة، دائما، صورا في منتهى الروعة والإعجاب والغرابة تكمن في العودة إلى التاريخ القديم، بل إلى القبائل العربية البائدة وهي (جرهم وإرم وعاد) واضعا المتلقي «في مسرح الأحداث التي تستخدم أمامه [في النصّ الشعري] فيعيشها بكلّ تفاصيلها ويتفاعل معها ويستلهم منها مواطن العظمة والاعتبار»<sup>٤</sup> حيث يقول:

<sup>١</sup>- فايز أحمد محمد الكومي، ظواهر التراكيب المتعلقة بالجملة المحولة دراسة في العلاقة البنائية والدلالية من منظور علم نحو النص، مجلة علمية محكمة تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا، ص ٤.

<sup>٢</sup>- ابن خفاجة، الديوان، ص ٣١٦.

<sup>٣</sup>- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ٣، ص ١٠٥.

<sup>٤</sup>- جلال عبد الله محمد سيف الحمادي، العدول في صيغ المشتقات في القرآن الكريم دراسة دلالية، (رسالة ماجستير)، ص ١١٤.

في مَوْطِنٍ نَزَلَتْهُ جُرْهُمُ قَبْلَهُ، وَتَحَوَّلَتْ إِرْمٌ إِلَيْهِ، وَعَادُ  
أُمِّمٌ، يَخْصُّ بِهَا الْفَضَاءُ، طَوَّتَهُمْ كَفُّ الرَّدَى طَيِّ الرَّدَاءِ، فَبَادُوا<sup>١</sup>

فقد قام الشاعر بعرض تاريخي لحادثة قديمة تمثلت في زوال وبيدودة القبائل الثلاث وكأما ما سادت ولا قادت ولا ذاتت ولا شادت يوماً، ليحذف المبتدأ عن (أمم) ويعدل عن الأصل القياسي وهو (جرهم وارم وعاد أمم)، أو اختصاراً (هم أمم)، لدافع قصدي ينجلي في دافع ظاهري سطحي وآخر باطني معنوي، فأما الأول هو السياق الداخلي الذي يبرز هذا الحذف بقرينة وإحالة قبلية، فالمحذوف واضح ومعلوم في ذهن القارئ وهي القبائل، ذلك أن «متذوق الأدب لا يجد متاع نفسه في السياق الواضح جداً، والمكشوف إلى حد التعرية وإنما متعة نفسه حيث يتحرك حسه وينشط»<sup>٢</sup>، وأما الثاني فهو السياق الخارجي الذي يظهر من خلال تعظيم وتفخيم هذه الأمم التي سادت في يوم من الأيام لكنها لم تلبث إلا واشتد عليها الحال لتهلكها يد الموت وتطويها طيَّ الرداء لينقرضوا ويهلكوا وبالتالي اختفوا وبادوا.

وفي باب المديح يظهر براعته -أيضاً- المستحلية في رحاب هذه الصفحات اللجينية والتي تنساب عليها زخرفات كحلية. فيقول مبرزا تعجبه من ممدوحه، مع فطرة عدول تظلم بها قارئه باعثاً مرماً من ورائها:

لَيْبٌ، فَمَا نَدْرِي: أَرَأَيْتَ لِحَادِثٍ يُبَيِّتُ، أَمْ سَهْمًا لَشَاكِلَةٍ يَبْرِي<sup>٣</sup>

لقد مسَّ في مقدمة هذا البيت عدول حذبي أحد ركني الجملة الاسمية، وهو "المبتدأ" (لبيب) والأصل قوله (هو لبيب)، فتجاوزه ينجرُّ عنه قصد يرمى إليه من طرف الشاعر، هو الإيجاز والاختصار والتركييز على الخبر من جهة، والتعظيم والتفخيم بصفة ممدوحه من جهة أخرى، كيف لا وهو يتحدث عن اللبيب الذكي والعاقل الذي يطلب الإيجاز والتلميح لأن «العرب إلى الإيجاز أميل، وعن الإكثار أبعد، ألا ترى أنها في حال إطالتها وتكريرها مؤذنة باستكراه تلك الحال وملاها»<sup>٤</sup>، فباراه الشاعر في صفته هذه بواسطة مهارته الكتابية الإبداعية.

<sup>١</sup>- ابن خفاجة، الديوان، ص ٣٢٢.

<sup>٢</sup>- محمد أبو موسى، خصائص التراكمات دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، ص ١٥٣-١٥٤.

<sup>٣</sup>- ابن خفاجة، الديوان، ص ١٩١.

<sup>٤</sup>- ابن جنس، الخصائص، ج ١، ص ٨٣.

ومن الحكمة إلى الوصف، هذا الغرض الذي أبدع فيه أيما إبداع لأنه أذهل العقول والنفوس وأعجز الأقاليم والأفواه، ليغدق خيره الخيالي الطبيعي في وصفه لـ "القصيدة الشعرية" حيث يطربنا بقوله:

وزهرَةٌ غَضَّةٌ، تفتَرُّ عَاطِرَةٌ  
من روضةٍ لَدَنَةِ الأنفاسِ، مِخضَالِ<sup>١</sup>

فبرائحة العدول الذي هو «مورد من موارد التأنيق في الأسلوب»<sup>٢</sup>، نلاحظ أنّ الشاعر قد غرس في بيته عدولا بحذف مبتدأ (زهرة) والأصل التقديري قوله (والقصيدة زهرة)، ليريز قصده من خلال أفانين حذفه يجعل المتلقي ينسى لفظة "القصيدة" ليدخله في معمعة الطبيعة ومظاهرها؛ فجعلها - القصيدة- الزهرة التي لانت بعد حدة ومقاومة فاستسلمت وعبقت من حولها بطيب رائحتها في الحديقة لتطرب وتطري وتنعش الأنفاس المستمعين والقراء.

ومن العدول بالنقصان الخاص بـ "المبتدأ" إلى العدول بالنقصان المتجسّد في "الخبر"، ففي قوله المعبر عن الغزل والهوى والحب:

كُتِبْتُ، وَقَلْبِي، فِي يَدَيْكَ، أَسِيرٌ يُقِيمُ، كَمَا شَاءَ الْمَهْوَى، وَيَسِيرُ  
وَفِي كُلِّ حِينٍ، مِنْ هَوَاكَ وَأَدْمُعِي، بِكُلِّ مَكَانٍ، رَوْضَةٌ وَعَدِيرٌ<sup>٣</sup>

يُطالِعنا في عجز البيت الثاني عدول تركيبي حذفي للخبر بقريئة لفظية قبلية (هواك، أدمعي) والأصل قوله (للحب روضة، وللدموع غدِيرٌ)، مراعيًا السّياق لهذا الحذف وقاصدا من ورائها تحقيق الإيهام وشغل ذهن قارئه بهذا المحذوف ويدعه يصل إلى المشبه بالروضة والمشبه بالغدِير، فعمل على نوع من استفزاز لفكر طرفه الآخر (المتلقي) باعتبار أنّ الحذف أبلغ من النطق به، وهذا ما أشار إليه "عبد القاهر الجرجاني" بقوله: «فقد أراك في هذا كَلّه أنّ الخبر محذوف، وقد ترى حسن الكلام وصحته مع حذفه وترك النطق به»<sup>٤</sup>.

وفي مسارنا هذا نرصد مظهرا حذفي للخبر وهو وروده بشكل متعدد أثناء وصفه لجزيرته الجنّة التي أعجب بها أيما إعجاب. فيقول في هذا البيت المشهور:

<sup>١</sup>- ابن خفاجة، الديوان، ص ٤٤٨.

<sup>٢</sup>- تمام حسان، البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، ص ٣٤٧.

<sup>٣</sup>- ابن خفاجة، الديوان، ص ٣٦٣.

<sup>٤</sup>- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص ٢١٣.

يا أهل أندلس! لله دركم؛ ماء وظل وأنهار وأشجار<sup>١</sup>

حيث تتصور وقوفه على تلة أو بقاءه مع نفسه قائلاً هذه الأبيات وأثناء ذلك عدل عن بحذف الخبر المقدر (فيها ماء، وفيها ظل، وفيها أنهار، وفيها أشجار)، كون السياق والموقف يدعو لذلك، فقصدته وهمه هو التعبير عما يحتلج في نفسه من أحاسيس وإعجاب بهذه الأرض، أنه واقف على تلة حيث يرى كل شيء أو غيرها ينادي من بعيد أهل الأندلس وسكانها بأداة يخصهم بتفضيل الله عليهم ذلك ويتعجب لجمال المنظر فلم يكن في ذهنه الانشغال بالخبر بالصفات والخيرات وأن الزمن يتقاصر عليه عن ذكر المحذوف فصرح مباشرة بما فائدة الحذف «تكتيف الدلالة في القليل من الألفاظ من ناحية، وتجنب التكرار أو الاستطالة إلى ترهل العبارة وضعفها من ناحية ثانية»<sup>٢</sup>.

وبحذف أحد الأصول في مظهر آخر يتحقق العدول وهذا في قوله الآتي:

أبا جعفر لله درك فارساً، بحيث سطور الشعر خيل له دهم<sup>٣</sup>

ففي هذا البيت الدرري الذي يقطر مدحا وثناء نراه حذف أداة النداء للبعيد (يا) وأسقطها في المركب الاسمي (أبا جعفر) الذي يعدّ عارضا عدوليا ذا مظهر آخر باعتباره «تقنية فنية يستخدمها الشعراء للتعبير عن تجاربهم الشعورية»<sup>٤</sup>، والأصل (يا أبا جعفر)، لقصد منه يتجلى فيإنباء المتلقي أن الممدوح المنادى قريب لنفسه من الجهة المعنوية، أما من الجهة المادية المكانية فرمما يكون بمحاذاته وبجانبه فراح يتلطف به بذكر اسمه مباشرة، ونراه يتعجب أيضا من كونه فارسا بعبارة (لله درك) من خلال تشبيه سطور الشعر بخيول سوداء اصطفت وتهيأت للنزول.

لقد لعب "ابن خفاجة" دورا مهما في بحر الوصف، لأنّ الفنان الأصيل ينبعث من «كيان الإنسان الأثيل فينفع بواقع بيئته حسنا وقبحا، فرحا وبؤسا فيقول ويرسم وينظم»<sup>٥</sup>، حيث راح الشاعر يتفاخر ويتباهي بما يملكون في الأندلس، من مناظر طبيعية،

<sup>١</sup>- ابن خفاجة، الديوان، ص ٩٤.

<sup>٢</sup>- محمد صلاح زكي أبو حميدة، الخطاب الشعري عند محمود درويش، دراسة أسلوية، ص ٢٣٢.

<sup>٣</sup>- ابن خفاجة، الديوان، ص ٢٩١.

<sup>٤</sup>- صالح علي سليم الشيبوي، ظاهرة الانزياح الأسلوي في شعر خالد بن يزيد الكاتب، مجلة جامعة دمشق، ص ٨٦.

<sup>٥</sup>- كمال عصام السيوفي، الانفعالية والإبلاغية في البيان العربي، ص ١٠١.

ونوادي طربيّة، وحسنات طربيّة، وخمرة طهريّة، وأن الله قد فضّلهم عن غيرهم، مُظهرًا ذلك بنوع من المبالغة التي تعجز العقول وتفظم القلوب من روتين هادئ يتسلسل وفق أصل مُعيّن إلى حركة كتابية تتماوج في دقات عدولية، يُناغي بها خوالج السامع ويُدغدغ بواسطتها طبله أذنه.

### النتيجة

١- إنّ قصائد الشاعر تعكس مقدرة شعرية فائقة في رصف المباني، والمعاني، واقتناص الألفاظ المعبرة في تراكيب عدولية اسمية مختلفة تتجسّد وفق مظاهر متنوّعة حسب مستويات اللّغة لاسيما المستوى التركيبي.

٢- كان أسلوب خلخلة الترتيب صميم هذه القصائد، والذي تنوّعت صورته -رغم أنّ هناك صور أخرى كان ضيق المكان عذرنا- نحو: تقديم المستثنى وأداته، والحال، والمبتدأ وغيرها لهدف مقصدي غير مباشر.

٣- تقنية العُدول بالنقصان أو ما تُدعى بلعبة ملاء الفراغ كانت طاغية على القصائد، فما ذكرناه كان على سبيل التمثيل لا الحصر مثل: حذف الخبر، والمبتدأ، وأداة النداء، والتي تتلاءم ومقامه المعروف: من فرح، ومدح، وخاصة الحزن والأسى، حتى يبعث للمتلقّي قصده الضمني النابع من خلجاته النفسية الشاعرية.

٤- نتجت أغلب مظاهر العُدول التركيبي الاسمي -على تنوّع صورته - وتولّدت أكثر المقاصد الضمنية للشاعر من حديثه عن مرحلته الحياتيّة المشرّبة بالأحزان لفقد صديق أو المعاناة لترك حبيب أو من تصويره لشجاعة فارس أو نبل حاكم، كونها تُخبر عن حالة نفسيّة ذاتيّة انعكست على شعره.

٥- للعُدول الترتيبي والحذفي قيمة كبيرة في بناء التراكيب طورا، وصياغة المعنى المقصود طورا آخر، المفرز لأغراض ودواع عديدة في أغلبها تكون: للتخفيف، والاختصار، والإيجاز، والاهتمام، والتعظيم، والحصر والقصر وغيرها المنصبة كلّها في قالب الحفاظ على النغمة الموسيقية والوزن الشعري، أو ما يسمى بالغرض الإيقاعي.

### قائمة المصادر والمراجع

#### أ. المراجع العربيّة:

- ١- ابن الأثير، محمد بن نصر الله بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ت/أحمد الحوقى، بدوي طبانة، (د.ط)، القاهرة، فجاله: دار النهضة مصر للطبع والنشر، (د.ت).

- ٢- إنعام فوال عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة والبديع والبيان والمعاني، ت/أحمد شمس الدين، ط٢، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م.
- ٣- تمام حسان، الأصول، دراسة إستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب النحو - فقه اللغة - البلاغة، (د.ط)، القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٠م.
- ٤- \_\_\_\_\_، البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، ط١، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٣م.
- ٥- \_\_\_\_\_، الخلاصة النحوية، ط١، (م.د): عالم الكتب نشر، توزيع، طباعة، ٢٠٠٠م.
- ٦- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، ت/محمد علي النجار، (د.ط)، (م.د): دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، (د.ت).
- ٧- أبو حازم القرطاجني، أبو الحسن حازم بن محمد، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ت/ محمد الحبيب ابن الخوجة، (د.ط)، بيروت، لبنان: دار الغرب الاسلامي، ١٩٨٦م.
- ٨- حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ط١، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٨م.
- ٩- ابن خاقان، الفتح بن محمد بن عبيد الله، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، ت/حسين يوسف خريوش، ط١، الأردن: مكتبة المنار للطباعة والنشر، ١٩٨٩م.
- ١٠- ابن خفاجة، أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح، الديوان، ت/يوسف شكري فرحات، (د.ط)، بيروت: دار الجليل، (د.ت).
- ١١- الخليل بن أحمد الفراهيدي، أبو عبد الرحمن بن عمرو بن تميم الفراهيدي، كتاب العين، ت/مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، (د.ط)، (م.د): سلسلة المعاجم والفهارس، (د.ت).
- ١٢- رايح بومعزة، التحويل في النحو العربي مفهومه-أنواعه-صوره-البنية العميقة للصيغ والتراكيب المحولة، ط١، الاردن، الأردن: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، عمان، الأردن: جدار للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م.
- ١٣- الزركشي، بدر الدين ابو عبد الله محمد، البرهان في علوم القرآن، ت/محمد أبو الفضل إبراهيم، (د.ط)، بيروت، لبنان: دار جيل، ١٩٨٨م.
- ١٤- سيويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، ت/إميل بديع يعقوب، ط١، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ١٩٩٩م.
- ١٥- \_\_\_\_\_، الكتاب، ت/عبد السلام محمد هارون، ط١، بيروت: دار الجليل، (د.ت).
- ١٦- السيوطي، جلال الدين ابو الفضل عبدالرحمن، الإتقان في علوم القرآن، ت/فواز أحمد زمري، (د.ط)، بيروت، لبنان: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٤م.
- ١٧- شكري محمد عبد الله، دلالة الجملة الاسمية في القرآن الكريم، ط١، الاردن، عمان: دار دجلة ناشرون وموزعون، ٢٠٠٩م.

- ١٨- صالح بلعيد، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، (د.ط)، بن عكنون، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، ١٩٩٤م.
- ١٩- صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، ط١، بيروت: دار الشروق، ١٩٩٨م.
- ٢٠- عبد الحميد أحمد الهنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم. دراسة نظرية تطبيقية. التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة، اربد، الأردن: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط١، عمان، الأردن: جدارا للكتاب العالمي، ٢٠٠٨م.
- ٢١- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ط٣، تونس: الدار العربية للكتاب، (د.ت).
- ٢٢- عبد العزيز عتيق، علم المعاني في البلاغة العربية، (د.ط)، بيروت، لبنان: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٨٥م.
- ٢٣- عبد القاهر الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن النحوي، أسرار البلاغة، ت/أبو فهر محمود محمد شاكر، (د.ط)، جدة: دار المدني، (د.ت).
- ٢٤- \_\_\_\_\_، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ت/ السيد محمد رشيد رضا، (د.ط)، بيروت، لبنان: دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٩٨١م.
- ٢٥- \_\_\_\_\_، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ت/ محمد عبده، ومحمد محمود التركي الشنقيطي، ط٢، بيروت، لبنان: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٨م.
- ٢٦- \_\_\_\_\_، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ت/ السيد محمد رشيد رضا، ومحمد عبده، وآخرون، ط٢، بيروت، لبنان: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٨م.
- ٢٧- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ط١، بيروت، لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٤م.
- ٢٨- ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ت/عبد السلام هارون، (د.ط)، (د.م): دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت).
- ٢٩- فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، (د.ط)، القاهرة: مكتبة الآداب علي حسن، ٢٠٠٤.
- ٣٠- فضل صالح السامرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، ط٢، عمان، الأردن: دار الفكر ناشرون وموزعون، ٢٠٠٧م.
- ٣١- الفيروزبادي، مجد الدين أبي طاهر، القاموس المحيط، (د.ط)، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ١٩٩٩م.
- ٣٢- القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبدیع، (د.ط)، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، (د.ت).
- ٣٣- ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، (د.ط)، بيروت: عالم الكتب، (د.ت).

- ٣٤- كمال عصام السيوفي، *الانفعالية والإبلاغية في البيان العربي*، ط١، لبنان، بيروت: دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٦م.
- ٣٥- لويس معلوف، *المنجد في اللغة والأدب والعلوم*، ط٩، بيروت: المطبعة الكاثوليكية، (د.ت).
- ٣٦- المرشد، أبو العباس محمد بن يزيد، *كتاب المقتضب*، ت/محمد عبد الخالق عضيمة، ط٣، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٩٤م.
- ٣٧- محمد أبو موسى، *خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني*، ط٤، القاهرة: مكتبة وهيبة، ١٩٩٦م.
- ٣٨- محمد الهادي الطرابلسي، *خصائص الأسلوب في "الشوقيات"*، (د.ط)، تونس: منشورات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٨١م.
- ٣٩- محمد صلاح زكي أبو حميدة، *الخطاب الشعري عند محمود درويش، دراسة أسلوبية*، ط١، غزة: مطبعة المقداد، ٢٠٠٠م.
- ٤٠- مختار عطية، *التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة والأسلوبية*، (د.ط)، الاسكندرية، مصر: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ٢٠٠٥م.
- ٤١- مصطفى شاهر خلوف، *أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز*، ط١، عمان: دار الفكر ناشرون وموزعون، ٢٠٠٩م.
- ٤٢- ابن المعتز، أبو العباس عبد الله بن المعتز المتوكل، *كتاب البديع*، ت/إغناطيوس كراتشكوفسكي، ط٣، بيروت: دار المسيرة، ١٩٨٢م.
- ٤٣- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، *لسان العرب*، ت/خالد رشيد القاضي، دار صبح وإديسوف، ط١، بيروت لبنان: الدار البيضاء، ٢٠٠٦م.
- ٤٤- منير محمد المسيري، *دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم (دراسة تحليلية)*، ط١، القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠٠٥م.
- ٤٥- المهدي إبراهيم الغويل، *السياق وأثره في المعنى*، (د. ط)، بنغازي، ليبيا: أكاديمية الفكر الجماهيري، ٢٠١١م.
- ٤٦- موسى سامح رابعة، *الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها*، ط١، الأردن، اربد: دار الكندي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م.
- ٤٧- ناظم عودي، *نقص الصورة. تأويل بلاغة الموت*، (د. ط)، (د.م): دراسات نقد أدبي، (د.ت).
- ٤٨- ابن هشام، جمال أبو محمد عبد الله، *شرح قطر الندى وبل الصدى*، ت/محمد محي الدين عبد الحميد، ط١١، (د.م): المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٦٣م.
- ٤٩- \_\_\_\_\_، *معني الليب عن كتب الأعراب*، ت/حسن حمد، إميل بديع يعقوب، ط١، بيروت، لبنان: منشورات دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.
- ٥٠- ابن يعيش، موفق الدين أبو البقاء يعيـش بن علي، *شرح المفصل للزمخشري*، (د.ط)، مصر: دار الطباعة المنيرية، (د.ت).

ب. المراجع المترجمة:

١- جون كوهين، النظرية الشعرية بناء لغة الشعر اللغة العليا، ترجمة، أحمد درويش، (د.ط)، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م.

٢- مايكل ريفاتير، دلالات الشعر، ترجمة، محمد معتمد، ط١، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ١٩٩٧م.

### ج. الرسائل العلميّة:

١- أمل منسي عائش الخديدي، عوارض التركيب في شعر عبد الله بن قيس الرقيات (دراسة نحوية)، قسم الدراسات العليا العربية فرع اللغة والنحو والصرف، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ١٤٦٨/١٤٦٩هـ، (رسالة ماجستير).

٢- جلال عبد الله محمد سيف الحمادي، العُدول في صيغ المشتقات في القرآن الكريم دراسة دلالية، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة تعز، الجمهورية اليمنية، ٢٠٠٧م، (رسالة ماجستير).

٣- رفاعة طه أحمد، عوارض التركيب في بناء الجملة العربية دراسة نحوية في ضوء سورة البقرة، قسم اللغة العربية، كلية الدراسات الإسلامية/البيضاء، الجامعة الأسمرية للعلوم الإسلامية، ١٤٦٨ / ١٤٦٩هـ، (رسالة الماجستير).

٤- مي إيلان الأحمر، التقديم والتأخير في النحو والبلاغة، كلية الآداب والعلوم، الجامعة الأمريكية في بيروت، ٢٠٠١م، (رسالة ماجستير).

٥- نعيمة حمو، العُدول النحوي في لغة الصحافة-جريدة الشروق اليومي أمودجا-، منشورات مخبر الممارسات اللغوية، (جامعة مولود معمري)، تيزي وزو، الجزائر، ٢٠١١م.

### د. المقالات العربيّة:

١- إبراهيم بن منصور التركي، العُدول في البنية التركيبية قراءة في التراث البلاغي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، الجزء ١٩، العدد ٤٠، ١٤٢٨هـ، ص ٥٤٥ - ٦١٢.

٢- صالح علي سليم الشتيوي، ظاهرة الانزياح الأسلوبي في شعر خالد بن يزيد الكاتب، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢١، العدد (٣-٤)، ٢٠٠٥م، ص ٨٣- ١٠٩.

٣- فايز أحمد محمد الكومي، ظواهر التراكيب المتعلقة بالجملة المحولة دراسة في العلاقة البنائية والدلالية من منظور علم نحو النص، مجلة علمية محكمة تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا، المجلد (١)، العدد (١)، ٢٠١٠م، ص ٢١-١.

### هـ. المقالات الفرنسيّة:

1- Jon Arild Olsen, **De l'analyse stylistique considérée comme explication intentionnelle**, Université d'Oslo, Romansk, N°16, 2002. P 669-675.

2- Audet Noël, **Langage Poétique :écart ou errance du sens**, Revue Voix ET Images, vol. 3, N° 3, 1978. P 459-466.

## هنجارگریزی ترکیبی اسمی در اشعار "ابن خفاجه اندلسی" بین نحو و بلاغت

دکتر مریم اقرین\*

### چکیده:

در این مقاله پدیده بلاغی اصیل «هنجارگریزی» مورد بررسی قرار می‌گیرد که در پژوهش‌های غربی جدید به نام *écart* - که به امور ظاهر و نه محتوا می‌پردازد، - جای خود را باز کرده است. این اصطلاح پس از چندین ترجمه که مشهورترین آنها «الانزیاح» (آشنایی زدایی) است به جهان عرب برگشته است؛ درون مایه اصلی این مسأله خروج از مألوف به نا مألوف است؛ یعنی انتقال از ثابت به متغیر بر اساس یک قصد درونی مشخص که فراتر از قصد ظاهری است.

در این چارچوب ابن خفاجه شاعر اندلسی (۵۳۳ هـ) تصاویری آمیخته به انواع رنگ‌ها و اسالیب هنجارگریزی ترکیبی را آفریده است که اهداف معینی را بر اساس محورهای مشخصی برای ما ایجاد کرده است؛ ۱- هنجارگریزی، چهارچوب مفهومی؛ ۲- هنجارگریزی در پژوهش‌های عربی و غربی؛ ۳- هنجارگریزی ترکیبی اسمی در قصاید ابن خفاجه اندلسی که در آن جوانب نحوی آن به همراه فواید بلاغی منظور بیان می‌گردد که باعث درک لذت آن می‌شود. این مطالعه نشان داد که قصاید شاعر منعکس‌کننده توانایی فوق‌العاده وی در چیدن ساختارها و معانی و چینش الفاظ بیانگر در ترکیب‌های هنجارگریزانه اسمی است که بر اساس جلوه‌های گوناگون نمایانگر می‌شود؛ مانند: از بین بردن یکنواختی اسلوب استثناء از طریق مقدم کردن مستثنی و ادات آن، مقدم کردن خبر و حال علاوه بر حذف ادات نداء و خبر و مبتدا، که باعث مقاصد بلاغی پنهان و گوناگونی بر اساس سیاق متن باشد.

بیشتر مظاهر هنجارگریزی ترکیبی اسمی - با انواع مختلفش - از آن به دست آمده و بیشتر اغراض شاعر از سخنان خود در خصوص مراحل زندگی خود که دارای اندوه به خاطر از دست دادن یک دوست یا درد و رنج دوری یک دوست باشد یا به تصویر کشیدن شجاعت یک قهرمان یا شرافت یک حاکم که بیانگر یک حالت درونی است که در شعر وی منعکس گردیده است.

**کلیدواژه‌ها:** هنجارگریزی، حذف، تقدیم و تأخیر، هدف.

\*-استادیار گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه محمدخیزر، بسکره، الجزائر. meriem.agrine@gmail.com

تاریخ دریافت: ۱۳۹۳/۰۱/۲۸ هـ ش = ۲۰۱۴/۰۴/۱۷ م تاریخ پذیرش: ۱۳۹۴/۰۳/۲۱ هـ ش = ۲۰۱۵/۰۶/۱۱ م

## Abstracts in English

### **A Mixture of Grammar and Rhetoric in Nominal Deviations in the Poetry of Ibn-Khafadja of Andalusia**

Meriem Agrin\*

#### **Abstract**

This paper deals with the rhetorical phenomenon of deviation that has acquired a significant position in western research on formal, but not content, issues. Therefore the term deviation, distance or *ecart* are frequently used to convey this meaning; but the best known equivalent is defamiliarization. The most important element in this term is distancing from the familiar meaning to convey the target message. The Andalusian poet Ibn Khafajah Andalusian painted an encaustic mix of natural colors in an unfamiliar way for certain purposes. First, the term deviation is defined, then the concept is explored in Arabic and Western studies, then the mixed nominal deviational poems of Ibn Khafajah of Andalusia are investigated. The study found that these poems reflect a superb poetical ability in creating structure and meaning by using this technique. Examples include removing the monotony in exceptions by reshuffling the words and giving them new arrangements, foregrounding themes, and omitting verbal tools and rendering them implicit. Most cases of mixed nominal deviation involve various scenes from life such as sorrow due to the loss of a friend, heart-pain because of lack of access to a friend, or portrayal of the bravery of a rider or the nobility and generosity of a ruler.

**Keywords:** back-grounding, deviation, ellipsis, foregrounding, purpose.

---

\* - Assistant Professor in Arabic Language and Literature, Mohamed Khider University, Algeria.